السكيثيون ومملكة البوسفور اليونانية في شمال البحر الأسود من القرن السابع إلى القرن الثاني ق.م

د/ شروق سمير هيكل

مدرس التاريخ اليوناني والروماني

كلية الآداب– جامعة المنصورة

الملخص:

اخترقت قبائل بدو السكيثيين سلامة وبساطة الوجود اليوناني على طول الساحل الشمالي للبحر الأسود من القرن السابع ق.م، إذ إنه لم تكن هناك أية عوائق أو عراقيل أو حدود تحد من تَرَحُّل السكيثيين المتاخمين في أراضي اليونانيين بالطرق السلمية أو بالطرق غير السلمية لعشرات السنين. وهذا الأمر تولَّد عنه تكوين مملكة البوسفور اليونانية في القرن الخامس ق.م لضم كل الإغريق في كيانٍ واحدٍ؛ وذلك للاعتماد على التنظيم والاقتصاد في مجابهة خطر بعثرة وسُعَار الرحَّل السكيثيين على كياناتهم الريفية. وقد أفضى ذلك إلى فاعلية وحيوية على الصعيدين السكيثي واليوناني بشكلٍ كبيرٍ. تسعى هذه الدراسة من خلال المنهج الاستقرائي التحليلي إلى كَشْف أطوار ومدى صلة التهديد السكيثي لإغريق البوسفور حتى القرن الثاني ق.م في ساحة شمال البحر الأسود.

الكلمات الدالة: سكيثيا، السكيثيون، مملكة البوسفور، البوسبوران، شمال البحر الأسود

The Scythians and the Greek kingdom of the Bosporus in the Northern Black Sea from the seventh century to the second century BC.

Abstract:

Scythians nomadic tribes penetrated the integrity and simplicity of the Greek presence along the northern coast of the Black Sea from the seventh century BC. For there were no obstacles, hindrances, or borders limiting the movement of the Scythians in the lands of the Greeks by peaceful or non-peaceful means for tens of years, which is what gave birth to the formation of the Greek Kingdom of the Bosporus in the fifth century to include all the Greeks in one entity. This is to rely on organization and economy in the face of the danger of scattering and frenzy of the Scythian nomads on their rural entities. This led to the effectiveness and vitality of the Scythian and Greek levels to a large extent. This study seeks, through the analytical inductive method, to reveal the phases and the extent of the relationship of the Scythian threat to the Bosporan Greeks until the second century BC in the northern Black Sea square.

Key words: Scythia, Scythians, Bosporus kingdom, Bosporan, Northern Black Sea

مقدمة:

كان شمال البحر الأسود "بحر اليوكسين Εὔξεινος πόντος" لمدة ستة قرون مسرح حياة قبائل البدو السكيثيين والإغريق المستقرين على سواحله، أيضًا بات ساحة مداهمة أهل البادية لأهل الحضر للحصول على مقومات حياتهم التي يفتقرونها؛ فقد حَوَى الوجود اليوناني رَغَدَ العَيش في المكان وهو ما ظلَّ يُغري الرُحَّل السكيثيين الشرسين الذين حددوا مجالهم الطبيعي ورقعتهم من الأرض التي لهم وحدهم حق الارتحال فيها واستخدامها على نطاقٍ جماعي بكافة الطرق والأشكال حسب تطور حالة ووضع الإغريق هناك.

السكيثيون هم قبائل البدو الرحَّل من الشعوب الهندو أوروبية في السهوب والصحاري الأوراسية. أسست تلك القبائل البدوية مملكة سكوثيا/ سكيثيا Σκυθία القوية في القرن الثامن ق.م في منطقة شمال البحر الأسود بين شرق أوروبا وآسيا الوسطى(١). ويصفهم المؤرخون فيقول هيرودوتس(٢): "يشرب السكيثي دماء الضحية

(1) Anatoly M. Khazanov (2014), Nomads as agents of cultural change: 3. The Scythians and their Neighbors , pp.32-49, University of Hawaii Press, p.32.

السكيثيون من الأقوام الهندو أوروبية التي استوطنت مناطق روسيا وشبه جزيرة القرم (أوكرانيا حاليًا) في حدود القرن الثامن ق.م، كانوا يعملون في أرمينيا كحلفاء للملك الكيميري ماثان ضد الملك الآشوري سرجون الثاني. أُنظر:

E. V. Cernenko (1983), The Scythians 700-300 BC: Men at war series, London: Osprey Publishing Ltd, p. 3,5; Renate Rolle (1989), The World of the Scythians, University of Callifornia Press, p. 7.

(2) Hdt. IV. 64:

Ἐπεὰν τὸν πρῶτον ἄνδρα καταβάλῃ ἀνὴρ Σκύθης, τοῦ αἵματος ἐμπίνει. Ὅσους δ' ἂν φονεύσῃ ἐν τῇ μάχῃ, τούτων τὰς κεφαλὰς ἀποφέρει τῷ βασιλέϊ· ἀπενείκας μὲν γὰρ κεφαλὴν τῆς ληίης μεταλαμβάνει τὴν ἂν λάβωσι, μὴ ἐνείκας δὲ οὔ. Ἀποδείρει δὲ αὐτὴν τρόπῳ τοιῷδε·=

الأولى، وهو يحمل لملكه رءوس كل من قتلهم في المعركة؛ لأنه يأخذ نصيبًا من الغنيمة إذا أتى برأس، ولا يأخذ من غير ذلك. يسلخ فروة الرأس عن طريق إجراء قطع حولها من الأذنين، ثم يمسك بفروة الرأس ويهز الرأس للخارج، ثم يكشط اللحم بضلع ثورٍ، ويعجن الجلد بيديه ليجعله لينًا. ويحتفظ به كمنديلٍ يثبته بلجام الحصان الذي يركبه ويفتخر به.. وأيضًا الكثير (منهم) يسلخ الجلد من الجسم كله ويحمله على ظهر حصان ويعُلقه على إطارٍ خشبي". ويُضيف جوسيفوس(١): "السكيثيون يسعدون بقتل الناس؛ وهم أفضل قليلًا من الوحوش البرية". بل يُعرِّفهم على أنهم قوم مأجوج: "خلَّفَ مأجوج من سموا منه مأجوجيون، وهم من أُطلق عليهم السكيثيون". أما جوستينوس(٢)

=εριταμὼν κύκλῳ περὶ τὰ ὦτα καὶ λαβόμενος τῆς κεφαλῆς ἐκσείει, μετὰ δὲ σαρκίσας βοὸς πλευρῇ δέψει τῇσι χερσί, ὀργάσας δὲ αὐτὸ ἄτε χειρώμακτρον ἔκτηται, ἐκ δὲ τῶν χαλινῶν τοῦ ἵππου τὸν αὐτὸς ἐλαύνει, ἐκ τούτου ἐξάπτει καὶ ἀγάλλεται.. Πολλοὶ δὲ καὶ ὅλους ἄνδρας ἐκδείραντες καὶ διατείναντες ἐπὶ ξύλων ἐπ' ἵππων περιφέρουσι.

يتناول الكتاب الرابع لهيرودوتس أحداثًا تاريخية عن السكيثيين وسكيثيا التي زارها.

(1) Josep. Against Apion II. 269:

Σκύθαι δὲ φόνοις χαίροντες ἀνθρώπων καὶ βραχὺ τῶν θηρίων διαφέροντες

Josep. Antiqu. I. 6. 123:

Μαγώγης δὲ τοὺς ἀπ' αὐτοῦ Μαγώγας ὀνομασθέντας ὤκισεν, Σκύθας δὲ ὑπ' αὐτῶν προσαγορευομένους.

(2) Justin. Epit. II. 2:

Hominibus inter se nulli fines. Neque enim agrum exercent, nec domus illis ulla aut tectum aut sedes est, armenta et pecora se,per pascentibus et per incultas solitudines errarebsolitis. Uxores liberosque secum in plaustris uehunt, quibus coriis imbrium hiemisque causa tectis pro domibus utuntur.. lacte et melle uescuntur; lanae his usus ac uestium ignotus, et quamquam continuis frigoribus urantur, pellibus tamen ferinis ac murinis utuntur. Haec continentia illis morum quoque iustitiam dedit, nihil alienum=

الذي جمَّع مقتطفات نقلها عن هيرودوتس فيقول عن السكيثيين "أنهم بدو ليس لهم حدود؛ فهم لا يزرعون الأرض ولا بيتًا لهم ولا مسكنًا ولا محل إقامة، لكنهم دائمًا ما ينشغلون بإطعام قطعان الماشية والتجول في الصحاري غير المزروعة، إنهم يحملون زوجاتهم وأطفالهم معهم في عرباتٍ، حيث يستخدمونها بدلًا من المنازل؛ لأنها مغطاة بالجلود ضد المطر والبرد.. إنهم يعيشون على الحليب والعسل. استخدام الصوف والملابس غير معروف بينهم على الرغم من أنهم يعانون من البرد الدائم، وهم يرتدون جلود الحيوانات البرية كبيرة كانت أم صغيرة. إنه فقط حيثما تكون الثروة تسود الرغبة فيهم، يحبون الاعتدال في خيرهم والتحرر في خيرات الآخرين"!

أما بالنسبة إلى **وجود الإغريق في البوسفور*** فإن ترددهم على المنطقة يرجع إلى فترة سابقة لوجود السكيثيين؛ إذ كانت سواحل البحر الأسود مفتوحة على نطاقٍ واسعٍ للشعوب الساحلية(١)، ولكن بدأت حركة الاستيطان على السواحل في النصف الثاني من القرن الثامن ق.م، واستمرت لعقودٍ عديدةٍ تالية(٢). وتشير الدلائل الأثرية أن البدو الشماليين لم يتمكنوا في القرن السابع ق.م من توحيد ذواتهم بالكامل في المكان

=concupiscentibus; quippe ibi diuitiarum cupido est, ubi et usus qtaue utinam reliquis mortalius similis moderatio abstinentiaque alieni foret! See also: Hdt. IV. 46-64.

Cf. Pliny N.H. X. 73; XXX 6; Amm. Marc. XXXI. 2.

* المقصود بالبوسفور هنا هي البقاع الشمالية من البحر الأسود وليس مضيق البوسفور عند المدخل الجنوبي للبحر الأسود.

(1) Xen. An. VII. 3. 16; Ath. 353C.

(2) Jonn Hind (1994), 9f: "The Bosporan kingdom in: Regional Surveys II: The west and north", pp.467-511, in: Cambridge ancient history, p. 482-483; Grougiou Christina (2015), Greeks and Locals in the Bosporan Kingdom: Cultural interactions, Supervisor: M. Manoledakis, International Hellenic University, p. 7.

الذي يضم سكانًا إغريقًا مستقرين ومنظمين (بشكل ريفي بسيط). ويبدو أن السكيثيين في أوائل فترة تواجدهم لم يكونوا عازمين على اجتياح السكان المستقرين، لذلك تمت عملية المعايشة بشكلٍ سلمي في البداية وإن كانت مصحوبة بتلاشي تدريجي. وعلى الصعيد اليوناني لم تكن هناك معارضة للعناصر البدوية الجديدة من جانب الإغريق، مما يشير إلى استقرار نسبي في علاقات التعايش هناك[١]. وليس أدل على ذلك تاريخيًّا من استمرار تأسيس مستوطنات يونانية كبيرة دون عداء خارجي خلال القرنين السابع والسادس ق.م مثل أولبيا (٦٤٧ ق.م) وبانتيكابايوم (أوائل القرن السادس ق.م) وآخرون[٢]. **(أُنظر الخريطة التالية)**

خريطة الساحل الشمالي للبحر الأسود[٣]

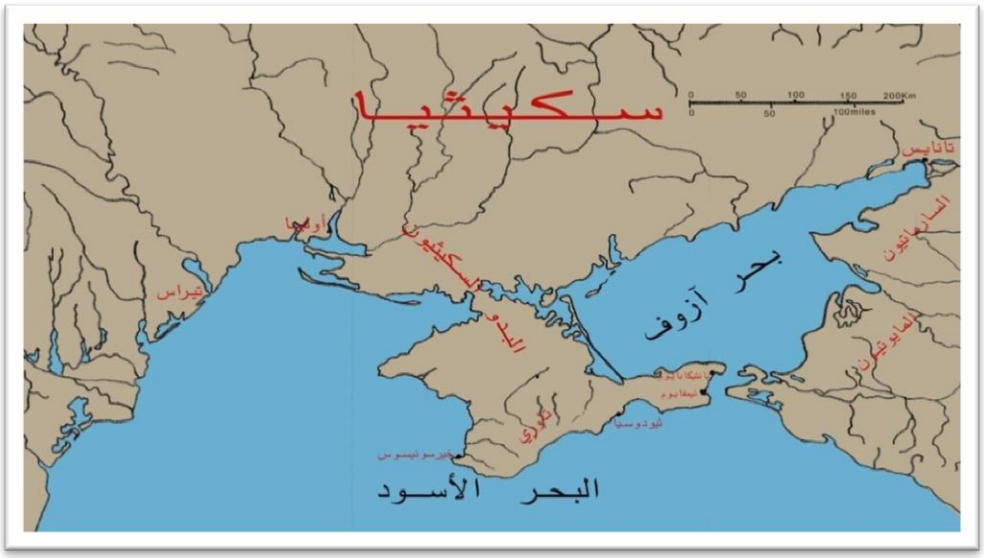

(1) K. Marčenko & Y. Vinogradov (1989), "The Scythians period in the northern Black sea region (750-250 B.C)", Antiquity 63, pp. 803-813, p.806.

(2) Pliny N.H. IV. 86; Strabo VII. 4. 5.

(٣) خريطة من إعداد الباحثة بالاعتماد على:

Hind (1994), p. 478; Rolle (1989), p.12.

بدأ **العدوان السكيثي في منطقة البحر الأسود** في منتصف القرن السابع ق.م فكما يذكر هيرودوتس[١]: أن السكيثيين "قد غزوا آسيا بعد أن طردوا الكيميريين* من أوروبا.. هناك التقى الميديون بالسكيثيين الذين ضايقوهم في المعركة وحرموهم من حكمهم وجعلوا أنفسهم أسيادًا لكل آسيا (العليا)". ومن هناك، حوَّل السكيثيون أنظارهم إلى مصر، وعندما كانوا في مكان يعتبر جزءًا من سوريا يُدعى فلسطين التقى بهم ملك مصر بسماتيخوس (بسماتيك) Ψαμμήτιχος وأقنعهم بالهدايا ألا يأتوا أبعد من ذلك، فرجعوا إلى الوراء. حكم السكيثيون آسيا لمدة ثمانية وعشرين عامًا أهدروا فيها خيرات الأرض بسبب عنفهم/ همجيتهم حتى قام الملك الميدي كياكساريس Κυαξάρης (٦٥٣–٥٨٥ ق.م) والميديون بتدبير مؤامرة قُتل فيها عدد كبير منهم. وهكذا استعاد الميديون إمبراطوريتهم وكل ما كانوا يمتلكون سابقًا.

وقبل نهاية القرن السادس ق.م، في حوالي عام ٥١٣/٥١٢ق.م حيث كان الملك الفارسي داريوس الأول قد تمكن من تأسيس إمبراطورية امتدت من مصر إلى الهند، ولحماية إمبراطوريته الكبيرة التالية لإمبراطورية الميديين كان لابد من كسر شوكة خطر السكيثيين الذي يهدد أملاكه في آسيا، ولذلك وجه داريوس حملة عسكرية كبيرة ضد مملكة سكيثيا. فيذكر المؤرخون[٢] عبر داريوس نهر الدانوب بقواته (عدد المشاة كان أكبر بكثير من الفرسان) ونزل على مناطق السكيثيين الذين تمكنوا من التصدي لهجوم داريوس بعددٍ كبيرٍ من الفرسان لمدة شهرين. وبعد إنهاك قوى داريوس أرسل

---

(1) Hdt. I. 103-106.

* الكيميريون: قبائل في شبه جزيرة القرم هيمنت على منطقة القوقاز والسهول الشمالية للبحر الأسود، وبعد مجيء السكيثيين عبروا القوقاز وانتشروا في بلدان غرب آسيا. أُنظر:

Cernenko (1983), p. 5.

(2) Hdt. IV. 1-136.

يذكر هيرودوتس أن حملة داريوس تكونت من سبعمائة ألف جندي، وستمائة سفينة

Cf. Cetisias Persia 16-17; Strabo VII. 3. 14; Justin. Epit. II. 5.

رسالة لملك السكيثيين إيدانثورسوس Ἰδάνθυρσος فحواها ضرورة الاستسلام له، لكن رد الأخير برسالة* قوية مفادها أنهم ليس لديهم ما يخافون عليه أن يُسلب، لا مدن ولا أرض مزروعة. وبعدها ظل داريوس يخسر في المناوشات العسكرية مع السكيثيين والتي اضطرته إلى التقهقر عائدًا نحو سفنه الراسية في نهر الدانوب وترك جرحى وقتلى جيشه خلفه. عاد داريوس مهزومًا ليترك بتلك الهزيمة النكراء أمام السكيثيين انطباعًا سائدًا مُفاده أن السكيثيين قبائل لا تُقهر، فيقول عن ذلك هيرودوتس(١) "وهكذا هرب الفرس (سريعًا) ولم يلحق بهم السكيثيون الذين جزموا أن الأيونيين (القوات الأيونية التي كانت تشكل عماد الجيش الفارسي) إذا كانوا رجالًا أحرارًا، فإنهم الأسوأ لجبنهم، وإذا كانوا عبيدًا، فلن يفضلهم أسيادهم لميلهم للهروب. هكذا سخر السكيثيون من الفرس"!

وبعد انتصار السكيثيين على الفرس وازدياد قوتهم في المنطقة بدأ **النشاط الهجومي السكيثي على إغريق البوسفور** في أواخر القرن السادس ق.م؛ فقد شهدت

---

* ورد عند هيرودوتس أن الملك السكيثي أرسل إلى داريوس طائر وفأر وضفدع وخمسة سهام:
..καὶ οἱ Σκυθέων βασιλέες μαθόντες τοῦτο ἔπεμπον κήρυκα δῶρα Δαρείῳ φέροντα ὄρνιθά τε καὶ μῦν καὶ βάτραχον καὶ ὀϊστοὺς πέντε. (Hdt. IV. 131).

ويذكر كيرنيكو أن التفسير الصحيح للرسالة عُرف لاحقًا؛ فقد قصد الملك السكيثي أن الفرس إذا لم يرحلوا مثل الطير أو اختبئوا داخل الجحور مثل الفئران أو قفزوا إلى البحيرة مثل الضفادع فإنهم لن يروا بيوتهم وأهلهم مرة أخرى، اُنظر:

Cernenko (1983), p. 20.

(1) Hdt. IV. 142:

Πέρσαι μὲν ὧν οὕτω ἐκφεύγουσι. Σκύθαι δὲ διζήμενοι καὶ τὸ δεύτερον ἥμαρτον τῶν Περσέων, καὶ τοῦτο μέν, ὡς ἑόντας Ἴωνας ἐλευθέρους, κακίστους τε καὶ ἀνανδροτάτους κρίνουσι εἶναι ἀπάντων ἀνθρώπων, τοῦτο δέ, ὡς δούλων Ἰώνων τὸν λόγον ποιεύμενοι, ἀνδράποδα φιλοδέσποτά φασι εἶναι καὶ ἄδρηστα μάλιστα· ταῦτα μὲν δὴ Σκύθῃσι ἐς Ἴωνας ἀπέρριπται.

أرض منطقة المستوطنات الشمالية آثار تدمير واضح نتيجة التعرض لحرائق واسعة النطاق خلال فترة النصف الثاني من القرن السادس ق.م. ذلك فضلًا عن بقايا التحصينات البدائية المبكرة في تلك الفترة. وفي العقود الأولى من القرن الخامس ق.م ظهرت منشآت دفاعية في عدد من المستوطنات اليونانية، وتم العثور على مقابر للإغريق قُتلوا برءوس سهام من الطراز السكيثي(١). ويذكر استرابون(٢) أن منطقة المستوطنات كان "يسيطر عليها حكام البوسفور على الرغم من تدميرها بالكامل بسبب الحروب المستمرة"

ἔχουσι δ' αὐτὴν οἱ τοῦ Βοσπόρου δυνάσται κεκακωμένην πᾶσαν ὑπὸ τῶν συνεχῶν πολέμων.

ولا يجب أن يغيب عن الذهن أن الظروف التاريخية في النصف الأول من القرن الخامس ق.م قد ساعدت السكيثيين على زيادة وطأتهم في البحر الأسود، فالفرس العدو القريب من السكيثيين انشغلوا عن الانتقام/ الثأر من هزيمة داريوس بأحداث عديدة بداية من ثورة المدن اليونانية على ساحل آسيا الصغرى (٤٩٩–٤٩٤ق.م) وتدمير ميليتوس، والحرب الفارسية على بلاد اليونان عام ٤٩٠ ق.م وثورة المصريين ضد حكمهم في مصر (٤٨٦–٤٨٥ ق.م). وإذا أضفت إلى ذلك ما ورد في الدراسات الحديثة(٣) من زيادة عدد المهاجرين الإغريق جراء حروب الفرس مع الإغريق إلى ساحل البحر الأسود الشمالي سواء من مدن آسيا الصغرى أو المدن اليونانية الأوروبية لتم الإدراك وجود أزمة اقتصادية متزايدة وواضحة في المستوطنات اليونانية

(1) Jurij A. Vinogradoul (2008), "Rhythms of Eurasia and the main historical stages of the Kimmerian Bosporos in Pre-Roman times", in: Meeting of cultures in the Black sea region, pp.13-27, edip. G. Bilde and J. H. Petersen, Aarhus University Press, p. 14-15.

(2) Strabo VII. 4. 5.

(3) Marčenko & Vinogradov (1989), p. 808; Hind (1994), p.989; Christina (2015), p. 11.

فضلًا عن الشواهد الأثرية التي تشير إلى حدوث انخفاض كبير في النشاط الزراعي والرعوي إلى جانب انخفاض مستوى المعيشة. جدير بالذكر هنا أنه لا توجد أي إشارة إلى أن الفرس حاولوا إخضاع إغريق البوسفور مباشرة، ومع ذلك، فإن تهديد قوتهم التوسعية لم يكن بالأمر الهين ومن المحتمل أن يكون الفرس قد مارسوا نوعًا من الضغط السياسي عليهم أو ربما استخدموا المرتزقة ضدهم.

أما **تكوين مملكة البوسفور اليونانية:** فمن الواضح أن غارات السكيثيين المدمرة على أراضي إغريق البوسفور من أواخر القرن السادس إلى العقدين الأولين من القرن الخامس ق.م كانت هي سبب تأسيس التكتُّل أو الرابطة اليونانية بين إغريق مستوطنات شمال البحر الأسود بقيادة العاصمة بانتيكابايوم للدفاع عنهم ضد هجمات السكيثيين العنيفة فتشكلت المملكة بحكم أسرة أرخاياناكس Ἀρχαιανακτίδαι (٤٨٠ – ٤٣٨ق.م)[١]. وتتابعت أسرات: سبارتوكوس Σπάρτακος وليوكون Λεύκων وساتوروس Σάτυρος وباريساديس Παιρισάδης[٢] لمدة ثلاثمائة وثلاثين عامًا. وأطلق الحاكم على نفسه لقب "أرخون البوسفور وثيودوسيا" وأحيانًا "ملك كل المايوتيين". كانت تلك المملكة تتألف منذ أوائل القرن الرابع ق.م من الجزء الشرقي من شبه جزيرة القرم (شبه جزيرة كيرتش) والجزء المقابل من شمال القوقاز (شبه جزيرة تامان)، يفصل بينهما تيارٌ بحري يتدفق عبر مضيق البوسفور الكيميري (مضيق كيرتش). على الجانب الآسيوي من تامان كانت هناك مدنٌ في دلتا نهر

(1) Diod. XII. 31. 1:
..κατὰ δὲ τὴν Ἀσίαν οἱ τοῦ Κιμμερίου Βοσπόρου βασιλεύσαντες, ὀνομασθέντες δὲ Ἀρχαιανακτίδαι, ἦρξαν ἔτη δύο πρὸς τοῖς τετταράκοντα· διεδέξατο δὲ τὴν ἀρχὴν Σπάρτακος,
(2) Strabo VII. 4. 4, 5:
ἐμοναρχεῖτο δὲ πολὺν χρόνον ὑπὸ δυναστῶν τῶν περὶ Λεύκωνα καὶ Σάτυρον καὶ Παιρισάδην

الدون (شمال شرق بحر آزوف) مثل: تانايس. كانت مدن المملكة الرئيسة، في شبه جزيرة القرم: بانتيكابايوم ونيمفايوم وثيودوسيا وخيرسونيسوس. وشبه جزيرة تامان: فاناجوريا وهيرموناسا وجورجيبيا. والمدن النائية: أولبيا وبوريستنيتيس. وعمومًا بلغت مساحة مملكة البوسفور في القرن الرابع خمسة آلاف كيلو متر مربع ووصل عدد مدنها إلى ثلاثين مدينة كبيرة وصغيرة(١). ويذكر استرابون(٢) "كل البشر الذين يخضعون لحكام مملكة البوسفور يطلق عليهم بوسفوريون؛ وتكون بانتيكابايوم عاصمة البوسفوريين الأوروبيين، بينما تكون فاناجوريا هي عاصمة البوسفوريين الآسيويين".

τοῖς δὲ τοῦ Βοσπόρου δυνάσταις ὑπήκοοι ὄντες ἅπαντες Βοσποranοὶ καλοῦνται· καὶ ἔστι τῶν μὲν Εὐρωπαίων Βοσπορανῶν μητρόπολις τὸ Παντικάπαιον, τῶν δ' Ἀσιανῶν τὸ Φαναγόρειον (καλεῖται γὰρ καὶ οὕτως ἡ πόλις)

(أُنظر الخريطة التالية)

خريطة أهم مدن مملكة البوسفور اليونانية(٣)

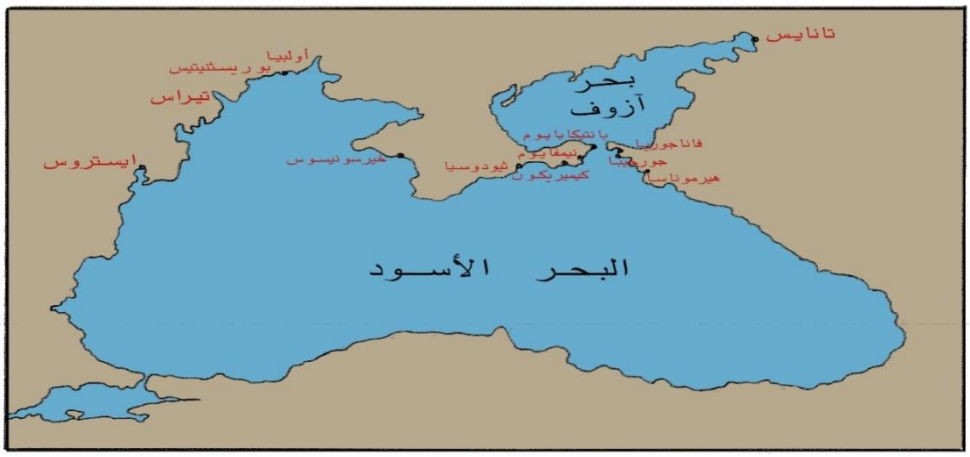

(1) Strabo VII. 4. 5-6.
See also: Hind (1994), p. 467.
(2) Strabo XI. 2. 10.

(٣) خريطة من إعداد الباحثة بالاعتماد على:

Christina (2015), p. 7.

بعد تكوين الرابطة اليونانية أصبحت **طبيعة العلاقات بين السكوثيين ومملكة البسفور** تقوم على نوع من التعايش السلمي يُسوي فيه ما بين الطرفين من كل من: أولًا: تفاوت القوة: قوة البدو الشماليين أمام ضعف الإغريق الذين تكتلوا لحماية أنفسهم. وثانيًا: التناقض: رعاة رحلّ (بدو) ومزارعون مستقرون الذين وفروا بهدوء احتياجات السكيثيين. فكما يذكر هيرودوتس(١) "أرض البدو الرحل السكيثيين الذين لا يزرعون شيئًا ولا يحرثون أرضًا، وجميع تلك الأراضي باستثناء الغابات خالية من الأشجار". ويذكر استرابون(٢) "كانت تعاني منطقة سكيثيا من رداءة نوعية الأرض؛ لأن الجزء الأكبر منها مستنقعات، أما أرض مدن المملكة، فكانت مستوية وخصبة ومنتجة للحبوب بشكل كبير، فهي تنتج ثلاثين ضعفًا.. بالإضافة إلى مدينة نيمافايوم والتي تمتلك ميناءً جيدًا". أما جوستينوس(٣) فيذكر "إشارة إلى قسوة مناخهم وعُقم أرضهم والتي بعيدًا عن إثراء السكيثيين بالثروة، بالكاد توفر لهم القوت".

وهكذا، بعد أن شعر السكيثيون بقوة اتحاد مملكة إغريق البوسفور وبحاجتهم إلى العلاقات معهم بدأت مرحلة جديدة من الاستغلال المعيشي الودي، فيحبرنا هيرودوتس(٤) أن الملك السكيثي سكوليس/ سكيليس (في منتصف القرن الخامس

---

(1) Hdt. IV. 19:
νομάδες ἤδη Σκύθαι νέμονται, οὔτε τι σπείροντες οὐδὲν οὔτε ἀροῦντες· ψιλὴ δὲ δενδρέων ἡ πᾶσα αὕτη πλὴν τῆς Ὑλαίης·
(2) Strabo VII 4. 4-6:
4: κώμας ἔχουσα καὶ πόλιν εὐλίμενον τὸ Νύμφαιον καλούμενον.
5: τὰ δὲ τῇ κακίᾳ τῆς χώρας· ἑλώδης γάρ ἐστιν ἡ πολλὴ αὐτῆς.
6: ἥ γε ἄλλη πεδιὰς καὶ εὔγεώς ἐστι πᾶσα, σίτῳ δὲ καὶ σφόδρα εὐτυχής, τριακοντάχουν ἀποδιδοῦσα διὰ τοῦ τυχόντος ὀρυκτοῦ σχιζομένη.
(3) Justin. Epit. IX. 2.
(4) Hdt. IV. 78-79:
78: ἐς τούτους ὅκως ἔλθοι ὁ Σκύλης, τὴν μὲν στρατιὴν καταλίπεσκε ἐν τῷ προαστείῳ, αὐτὸς δὲ ὅκως ἔλθοι ἐς τὸ τεῖχος καὶ τὰς πύλας=

ق.م) كان يقيم في مدينة بوريستثينيتيس اليونانية، بينما يترك قواته خارج أسوارها، وكان هو بنفسه بعد ما يدخل يُغلق البوابات ويخلع ملابسه السكيثية ويرتدي لباسًا يونانيًّا، ويتحرك مع رجال المدينة دون سلاح أو حرس.. وبكل الطرق، اتبع أسلوب الحياة اليونانية وعبد الآلهة اليونانية، ثم بعد أن يمضي شهرًا أو أكثر يرتدي ثوبًا سكيثيًّا ويغادر المدينة. كان يفعل ذلك في كثيرٍ من الأحيان. وبني له منزلًا وتزوج بامرأةٍ من نساء المدينة.. كان منزله واسعًا وكبيرًا وفخمًا، فهو محاطٌ بمجموعة من تماثيل أبي الهول وغرفتين من الحجر الأبيض..". ويثبت رجل الدولة الأثيني وأحد الخطباء العشر: أيسخينيس[1] ما جاء عند هيرودوتس عندما يروي أن والدة الخطيب الأثيني ديموستثيس كانت يونانية من البوسفور، وهي من مدينة كيبوس: مستوطنة ميليتوس بالقرب من فاناجوريا وسكيثية الأصل. مما يؤكد على أنه ربما كانت هناك درجة من الاختلاط الاجتماعي بين السكيثيين وإغريق البوسفور.

=ἐγκλησίσειε, τὴν στολὴν ἀποθέμενος τὴν Σκυθικὴν λάβεσκε ἂν Ἑλληνίδα ἐσθῆτα, ἔχων δ' ἂν ταύτην ἀγόραζε οὔτε δορυφόρων ἐπομένων οὔτε ἄλλου οὐδενός (τὰς δὲ πύλας ἐφύλασσον, μή τίς μιν Σκυθέων ἴδοι ἔχοντα ταύτην τὴν ἐποίεε κατὰ νόμους τοὺς Ἑλλήνων· ὅτε δὲ διατρίψειε μῆνα ἢ πλέον τούτου, ἀπαλλάσσετο ἐνδὺς τὴν Σκυθικὴν στολήν. Ταῦτα ποιέεσκε πολλάκις, καὶ οἰκία τε ἐδείματο ἐν Βορυσθένεϊ καὶ γυναῖκα ἔγημε ἐς αὐτὰ ἐπιχωρίην. 79: Ἦν οἱ ἐν Βορυσθενεϊτέων τῇ πόλι οἰκίης μεγάλης καὶ πολυτελέος περιβολή, τῆς καὶ ὀλίγῳ τι πρότερον τούτων μνήμην εἶχον, τὴν πέριξ λευκοῦ λίθου σφίγγες τε καὶ γρῦπες ἔστασαν·

(1) Aeschines Against Ctesiphon 171.10 – 172.1-3:

Κήπους, καὶ γαμεῖ γυναῖκα πλουσίαν μὲν νὴ Δία καὶ χρυσίον ἐπιφερομένην πολύ, Σκύθιν δὲ τὸ γένος, ἐξ ἧς αὐτῷ γίγνονται θυγατέρες δύο

ويبدو أن حالة الأمن مع السكيثيين التي كانت تعيشها المملكة هي التي كانت وراء إرسال بيريكليس بعثة استكشافية إلى منطقة البحر الأسود (حوالي ٤٣٦ق.م): "أبحر لبونتوس بأسطول كبير وقوي وأنجز ما طلبته منه المدن اليونانية، وأقام علاقات ودية معهم، لكن بالنسبة للقبائل البربرية المجاورة (السكيثيون) وملوكهم وسلالتهم فلم يُعيرهم انتباه، وأظهر عظمة القوة الأثينية وثقتهم وجرأتهم في الإبحار أينما أرادوا"(١). كما سمحت الحالة للإغريق بإعادة استيطان الأراضي الزراعية في شمال غرب البحر الأسود، والمناطق النائية في السهوب التي أصبحت تعيش بها قبائل مثل: ألازونيس Ἀλαζῶνες وكاللیبيداي Καλλιπίδαι على دورها التجاري مع السكيثيين لمنتجات البوسفور خاصة الأسماك مثل سمك الحفش ἀντἄκαῖος المتوفر في بوريستنيتيس وأولبيا(٢). وبذلك وصلت المملكة إلى ذروة اتساعها في القرن الرابع ق.م وهو ما تم وصفه بأنه عصرٌ مباركٌ لإغريق البوسفور(٣).

أدى **توسع مملكة البوسفور** المتزايد لحدوث أزمة في الرزق البدوي السكيثي، وربما تخطت المملكة مرحلة الاستغلال الاقتصادي السكيثي بعد زيادة نشاطها وبدأت مرحلة جديدة وهي الهيمنة الاقتصادية اليونانية في منطقة البحر الأسود؛ فمن جهة: انشغل إغريق المملكة عن توفير احتياجات السكيثيين بتوسعاتهم وحيويتهم الاقتصادية. ومن جهة أخرى: سيطروا على مناطق السهوب وحرموا السكيثيين

---

(1) Plut. Perc. 20:
Εἰς δὲ τὸν Πόντον εἰσπλεύσας στόλῳ μεγάλῳ καὶ κεκοσμημένῳ λαμπρῶς, ταῖς μὲν Ἑλληνίσι πόλεσιν ὧν ἐδέοντο διεπράξατο καὶ προσηνέχθη φιλανθρώπως, τοῖς δὲ περιοικοῦσι βαρβάροις ἔθνεσι καὶ βασιλεῦσιν αὐτῶν καὶ δυνάσταις ἐπεδείξατο μὲν τῆς δυνάμεως τὸ μέγεθος καὶ τὴν ἄδειαν καὶ τὸ θάρσος, ᾗ βούλοιντο πλεόντων καὶ πᾶσαν ὑφ' αὑτοῖς πεποιημένων τὴν θάλασσαν, ...
(2) Hdt. IV. 17-18, 53.
(3) Marčenko & Vinogradov (1989), p. 809.

خيراتها. وليس أدل على ذلك من ما ذكره استرابون[١]: "(بينما) أرسل ليكيو مرة واحدة من مدينة ثيودوسيا إلى أثينا مليوني ومائة ألف ميديمنوس (أي ما يعادل حوالي 108,864,000 لترًا) كان البدو يعيشون على لحوم الخيل، وكذلك على الجبن المصنوع من حليب الفرس: حليب الفرس الطازج وحليب الفرس الحامض والذي يعتبر بعد تحضيره بطريقة معينة جيدًا لهم".

Λεύκωνα δέ φασιν έκ τῆς Θεοδοσίας Ἀθηναίοις πέμψαι μυριάδας μεδίμνων διακοσίας καὶ δέκα. οἱ δ' αὐτοὶ οὗτοι καὶ γεωργοὶ ἐκαλοῦντο ἰδίως διὰ τὸ τοὺς ὑπερκειμένους νομάδας εἶναι, τρεφομένους κρέασιν ἄλλοις τε καὶ ἱππείοις, ἱππείῳ δὲ καὶ τυρῷ καὶ γάλακτι καὶ ὀξυγάλακτι (τοῦτο δὲ καὶ ὄψημά ἐστιν αὐτοῖς κατασκευασθέν πως)·

ويُعلق مترجم اللويب أن ليكيو اعتاد على إرسال أربعمائة ألف ميديمنوس سنويًّا (حوالي 20,073,600 لترًا) إلى أثينا، ولكن في عام المجاعة الكبرى عام ٣٦٠ق.م أرسل ليس فقط ما يكفي لأثينا ولكن أيضًا فائضًا باعه الأثينيون بربح خمسة عشر تالنتًا.

ولعل تلك الأزمة هي ما دعت السكيثيين في النصف الثاني من القرن الرابع ق.م إلى **تأسيس محطة سكيثية تجارية في شمال البحر الأسود** وهي إليزاڤيتوڤكا Elizavetovka (في دلتا دون) كمركز تجاري على الحدود الشرقية لهم. وقد لعبت تلك المحطة السكيثية دورًا تجاريًّا مع مملكة البوسفور في البحر الأسود. وتجدر الإشارة هنا إلى أن مكان إليزاڤيتوڤكا عند الروافد الدنيا من نهر الدون، حيث كان الوجود اليوناني قليلًا، وهو ما يشير إلى حاجة السكيثيين إلى مواصلة التجارة مع الإغريق الذين اتسعت دائرة نشاطهم الاقتصادي بعيدًا عنهم، وقد لعبت إليزاڤيتوڤكا دور الوسيط الرئيس في التجارة بين الإغريق والممالك النائية البربرية في تلك

(1) Strabo VII. 4. 6.

المنطقة[١]. والمُدهش أنه لم يقف دور السكيثيين التجاري (الجديد) عند شمال البحر الأسود فقط بل اتسعت الدائرة ليلعبوا دور الوسيط التجاري بين اليونان وإغريق البوسفور، حيث تمكن السكيثيون تحت زعامة الملك أثياس الذي وحد جميع قبائل سكيثيا تحت سلطته الشخصية من احتكار توريد الذرة لمدن البوسفور؛ إذ تبنت الأرستقراطية السكيثية (وردت عند ديودورس الصقلي واسترابون باسم قبيلة تاوريك السكيثية*) دور الوساطة في إمداد مدن مملكة البوسفور بالذرة وتصدير القمح لليونان. تم جني فوائد هائلة من تلك التجارة التي أصبحت مسئولة عن استقرار البدو جزئيًّا خلال تلك الفترة[٢] (النصف الثاني من القرن الرابع ق.م).

وعلى الصعيد السياسي، بدأ السكيثيون قبل نهاية القرن الرابع ق.م في الاحتكاك مع إغريق شمال البحر الأسود عن طريق **التدخل السكيثي العسكري في النزاع الأسري على عرش مملكة البوسفور** الذي تَفجَّر بين أبناء باريساديس، مما أتاح الفرصة أمامهم للقيام بدور حماة العرش اليوناني خاصة من بعض القبائل التي تحالفت مع أحدهم، واستغلال ذلك لتحقيق أهدافهم ومصالحهم وتغلغل نفوذهم في مملكة البوسفور، فيذكر ديودورس الصقلي[٣] أن ملك مملكة البوسفور ساتوروس قد

---

(1) Marčenko & Vinogradov (1989), p. 810.

* في جنوب شبه جزيرة القرم. أُنظر:

Diod. IV. 11, 12; Strabo VII. 4. 5.

(2) Strabo VII. 3. 18, 4. 5.

See also: A. I. Melyukova and Crookenden Julia (1990), "The Scythians and Sarmatians", in: The Cambridge history of early Inner Asia, pp. 97-117, p. 105.

(3) Diod. XX. 22-24.

22: Περὶ γὰρ τοὺς αὐτοὺς καιροὺς ἐν τῷ Πόντῳ μετὰ τὴν Παρυσάδου τελευτήν ،ὃς ἦν βασιλεὺς τοῦ Κιμμερικοῦ Βοσπόρου ،διετέλουν οἱ παῖδες αὐτοῦ διαπολεμοῦντες πρὸς ἀλλήλους ὑπὲρ τῆς ἡγεμονίας, Εὔμηλός τε καὶ Σάτυρος καὶ Πρύτανις .τούτων δὲ ὁ μὲν Σάτυρος ὢν=

تحالَف مع السكيثيين عام ٣١٠ق.م لمساعدته ضد أخيه الذي كون جيشًا للإطاحة به، فيروي: "بعد موت ملك البوسفور باريساديس (الأول) نشأ صراع بين أبنائه الثلاث: ساتوروس وإيميليوس وبريتانيس. كان ساتوروس الابن الأكبر قد استلم العرش من والده الذي كان ملكًا لمدة ثمانية وثلاثين عامًا، لكن إيميلوس أقام معاهدة صداقة مع بعض البرابرة الذين عاشوا بالقرب منهم وجمع جيشًا قويًّا، وطالب بالعرش. عندما علم ساتوروس انطلق ضده بجيشٍ قوي كونه للمعركة من ألفي إغريقي وعددٍ مساوٍ من التراقيين والباقيين من السكيثيين.. وأخذ مكانه في وسط الكتائب متبعًا بذلك استراتيجية السكيثيين.. وبعد أن سقط الكثير من الجانبين، انتصرت قوات (ساتوروس) وهُزم ملك البرابرة". ويضيف ديودورس الصقلي أن ساتوروس أراد أن يؤدب البربر على مساعدتهم لإيميلوس، فتعقبهم ولكن بينما كان يهاجم العدو، أُصيب بحربة في أعلى ذراعه، وعاد إلى المخيم منهكًا بشدة بسبب الجرح، وعندما حلَّ الليل، توفي بعد تسعة أشهر فقط من وفاة والده. استولى بريتانيس على الجيش والسلطة الملكية. عندئذ، أرسل إيميلوس مبعوثين لمناقشة تقسيم المملكة، لكن بريتانيس لم يلتفت إليه وهو ما أدى إلى اشتعال الصراع بين الأخوين والذي انتهى بموت بريتانيس. لم يتبقَ أمام إيميلوس سوى باريساديس الطفل صغير السن ابن ساتوروس الذي هرب على

=πρεσβύτερος παρὰ τοῦ πατρὸς παρειλήφει τὴν ἀρχήν, βεβασιλευκότος ἔτη τριάκοντα ὀκτώ· ὁ δ 'Εύμηλος φιλίαν συντεθειμένος πρός τινας τῶν πλησιοχώρων βαρβάρων καὶ δύναμιν ἀδρὰν ἡθροικὼς ἡμφισβήτει τῆς βασιλείας .ἃ δὴ πυθόμενος ὁ Σάτυρος ἀνέζευξεν ἐπ 'αύτὸν μετὰ δυνάμεως ἀδρᾶς καὶ διαβὰς τὸν Θάτην ποταμόν،.. συνεστρατεύοντο δ 'αύτῷ μισθοφόροι μὲν Ἕλληνες οὐ πλείους δισχιλίων καὶ Θρᾷκες ἴσοι τούτοις ،οὶ δὲ λοιποὶ πάντες ὑπῆρχον σύμμαχοι Σκύθαι ،πλείους τῶν δισμυρίων ،ἱππεῖς δὲ οὐκ ἐλάττους μυρίων.. καὶ πολλῶν παρ 'άμφοτέροις πεσόντων τέλος ἐκβιασάμενος ἐτρέψατο τὸν βασιλέα τῶν βαρβάρων.

ظهر خيل ولجأ إلى أجاروس ملك السكيثيين للاحتماء عندهم. "بعد وفاة أخوي إيميلوس، أراد أن يثبِّت سلطته بشكل آمن، فقتل أصدقاء ساتوروس وبريتانيس، وكذلك زوجاتهم وأطفالهم، الوحيد الذي تمكن من الهرب منه هو باريساديس بن ساتوروس، الذي كان صغيرًا جدًّا، فركب من المدينة على ظهر خيلٍ ولجأ إلى الملك السكيثي أجاروس".

Εὔμηλος δὲ μετὰ τὸν τῶν ἀδελφῶν θάνατον βουλόμενος ἀσφαλῶς θέσθαι τὰ κατὰ τὴν ἀρχὴν ἀνεῖλε τούς τε φίλους τῶν περὶ τὸν Σάτυρον καὶ Πρύτανιν, ἔτι δὲ τὰς γυναῖκας καὶ τὰ τέκνα. μόνος δὲ διέφυγεν αὐτὸν ὁ παῖς ὁ Σατύρου Παρυσάδης, νέος ὢν παντελῶς τὴν ἡλικίαν· ἐξιππεύσας γὰρ ἐκ τῆς πόλεως κατέφυγε πρὸς Ἄγαρον τὸν βασιλέα τῶν Σκυδῶν. (XX. 24. 3).

جاءت حماية الملك السكيثي أجاروس لابن ساتوروس الطفل من أجل مساعدته في استرداد عرش أبيه تحت وصايته، خاصة أن وضع أجاروس كان يسمح له بتعبئة قوة كبيرة في ذلك الوقت (تحالَف مع ساتوروس بثلاثين ألف جندي ضد جيش إيميلوس*) الذي كان يعيش فيه حالة النشوة بعد انتصار السكيثيين الساحق في عهد الملك السكيثي أثياس على الإسكندر الأكبر. فوفقًا لما ورد ذكره عند جوستينوس(١)

* تكون جيش ساتوروس من أربعة آلاف من الإغريق والتراقيين وثلاثين ألفًا من السكيثيين. أُنظر:
Askold I. Ivantchikl (2019), "The Scythians kingdom in the Crimea in the 2nd Century BC and its relathions with the Greeks states in the north Pontic region", Ancient Civilizations from Scythia to Siberia 25, pp. 220 – 254, p. 226.

(1) Justin. Epit. XII. 1:
bellum, Alexandri, regis Epiri, in Italia, bellum, Zopyrionis praefecti eius in Scythia continebature. Quibus uarie adfectus plus tamen laetitiae cognitis mortibus duorum aemulorum regum quam doloris amissi cum Zopyrione exercitus cepit.

دَحر السكيثيون بالكامل جيش الإسكندر الذي تكون من ثلاثين ألف جندي بقيادة زوبيرون Ζωπυρίων (قائد الإسكندر الخاص) الذي لقي حتفه هو الآخر أمامهم* عام ٣٣١ق.م. كانت حملة الإسكندر ضد السكيثيين الذين خدعوا أباه فيليب بن أمينتاس؛ ففي عام ٣٣٩ق.م احتال أثياس السكيثي على فيليب المقدوني(١).

ويبدو أن التحركات العسكرية والسياسية التالية تؤكد **فرض وصاية السكيثيين على مملكة البوسفور**، ويمكن أن أرصدها في أربعة شواهد، أولا: في أراضي المملكة وبالقرب من مدينة خيرسونيسوس اليونانية(٢) تمكن السكيثيون من تأسيس نيابوليس Νεάπολις كعاصمة جديدة لهم في منتصف القرن الثاني ق.م على الطراز الهيللينستي وتم بناء قصرٍ ملكي وأسوارٍ عالية تحمي الأكروبوليس. كان ذلك بعد أن تعرضت المملكة السكيثية في أوائل القرن الثالث ق.م في سهول منطقة البحر الأسود الشمالية بما في ذلك شبه جزيرة القرم لضغوط من موجات جديدة من البدو: السارماتيون الذين أتوا من الشرق، والكلتيون والتراقيون من الغرب. وقد تسببت تلك الضغوط من العدو خاصة السارماتيين في سقوط مملكة السكيثيين "سكيثيا العظمى"

* يُقال أن الإسكندر الأكبر بنى سدًا في القوقاز ليمنع قبائل السكيثيين من غزو البلاد في الجنوب وذلك على أساس أن تلك القبائل هي قوم مأجوج. شاعت قصص بناء ذلك السد في كتاب رومانسية الإسكندر الذي كُتب في القرن الثالث الميلادي. أُنظر:
W. W. Tarn, "Alexander: The conquest of the Far East", CAH 6 (1927), pp. 387-437, p. 435; A. R. Anderson, "Alexander at the Caspian Gates", TAPA 59 (1928), pp. 130-163, p. 130.

(١) أقام أثياس تحالُفًا مع فيليب في حروبه مع قبائل الإيستيريين مقابل وراثة العرش، لكن توفي ملك الإيستيريين وانتهت الحرب، لذلك طلب أثياس مغادرة المقدونيين بعيدًا وأرسل رسالة إلى فيليب مفادها: "أنه لم يطلب مساعدته ولم يقترح التحالف؛ لأن السكيثيين لم يحتاجوا مساعدة من المقدونيين لكونهم متفوقين عليهم في ميدان المعركة، ولم يكن هو نفسه يريد وريثًا؛ لأنه كان لديه ابن يعيش". فطلب فيليب من أثياس نفقات الحملة ولكنه تملص باستهزاء فقتله فيليب. أُنظر:
Just. Epit. IX. 2.See also: Polyaenus stra. VII. 44. Cf. Strabo VII. 3. 18.
(2) Strabo VII. 7. 7.

في جزءٍ كبيرٍ من الإقليم في منطقة شمال بونتوس ودُمرت إليزاڤيتوڤكا، وكانت الأراضي الوحيدة التي استطاع السكيثيون الاحتفاظ بها هي مناطق في سهوب القرم والروافد السفلية لنهر دنيبر ودنيستر، والتي أصبحت تُعرف بما يسمى سكيثيا الصغرى.(١)

ثانيًا: مارست مدن مملكة البوسفور اليونانية خلال القرنين الثالث والثاني ق.م (العصر الهيللينستي) نشاطًا تجاريًّا حرًّا بعيدًا عن أي معوقاتٍ (سكيثية) بل ربما باستحواذ فعلي غير مرئي، فوفقًا لما ورد عند المؤرخين(٢) أصبحت كل من العاصمتين اليونانيتين: بانتيكابايوم وفاناجوريا سوقًا تجاريًّا كبيرًا؛ فكانت بانتيكابايوم هي المركز الكبير للبضائع القادمة من البحر الأسود، وفاناجوريا مع وادي نهر كوبان والشواطئ الشرقية لبحر آزوف. ويذكر أيسخينيس(٣) أن كيبوس المدينة الرئيسة على الجانب الآسيوي (شبه جزيرة تامان) كانت على علاقات تجارية مع سيراكيوز في جزيرة صقلية. ويضيف ديودورس الصقلي(٤) ثم استرابون في كتابيه السابع والثاني عشر(٥) أن مملكة البوسفور تزاول نشاطًا تجاريًّا من مكان وجود قبيلة تاوريك السكيثية الذي أصبح يُطلق عليه تاوروبولوس بالقرب من العاصمة السكيثية نيابوليس.

(1) Melyukona and Crookenden (1990), p. 107; Ivantchik (2019), pp. 222, 223.
Cf. Hind (1994), p. 479.
(2) Strabo XI. 2. 10.
See also: Appian Mith. XII. 107:
καὶ Παντικάπαιον ،ἐμπόριον Εὐρωπαῖον ἐπὶ τῆς ἐκβολῆς τοῦ Πόντου
(3) Aeschines 171. 9.
(4) Diod. IV. 44.
(5) Strabo VII. 4. 5:
.... Παντικαπαίῳ μέχρι Θεοδοσίας τῶν Βοσπορίων τύραννοι ،τὴν δὲ πλείστην μέχρι τοῦ ἰσθμοῦ καὶ τοῦ κόλπου τοῦ Καρκινίτου Ταῦροι ،=

ثالثًا: قبل نهاية القرن الثاني ق.م يُخبرنا استرابون[١] أن في عام ١٠٧ق.م سلَّم ملك البوسفور باريساديس مملكته لملك مملكة بونتوس: ميثريداتس السادس يوباتور بعد أن أصبح غير قادرٍ على الصمود أمام السكيثيين، فيقول: "حمل آخر ملوك المملكة اسم باريساديس، لكنه لم يكن قادرًا على الصمود أمام البرابرة الذين أصبحوا أكثر سطوة من ذي قبل، ولذلك أعطى السلطة لميثريداتس".

Παιρισάδης δὲ καὶ θεὸς νενόμισται· τούτῳ δὲ ὁμώνυμος καὶ ὁ ὕστατος ‹ὃς οὐχ οἷός τε ὢν ἀντέχειν πρὸς τοὺς βαρβάρους φόρον πραττομένους μείζω τοῦ πρότερον Μιθριδάτῃ τῷ Εὐπάτορι παρέδωκε τὴν ἀρχήν·

رابعًا: دراسة إيڤانتشيك[٢] التي تؤكد وجود استمرارية تاريخية وسياسية بين السكيثيين في القرن الرابع ق.م والسكيثيين المتأخرين في شبه جزيرة القرم في القرن الثاني ق.م؛ فتذكر أن ملك البوسفور الذي سلَّم مملكته هو باريساديس الخامس الحفيد (الثالث) للأمير ابن ساتوروس بن باريساديس الأول الذي لجأ إلى الملك السكيثي أجاروس على ظهر خيلٍ عام ٣١٠ق.م. وهو ما يؤكد على عودة سليل ساتوروس لحكم المملكة بجيش سكيثي وولاية السكيثيين عليهم.

وفي الختام، كان السكيثيون المنكمشون وسط مملكة البوسفور اليونانية في القرن الثاني ق.م هم بقايا أحفاد السكيثيين الذين داهموا دَهْمَاء شمال البحر الأسود في القرن السابع ق.م؛ ولذلك فَطِن باريساديس الخامس إلى جدوى التسليم في ذلك التوقيت إلى ملكٍ قوي وذلك للخلاص لأول مرة من غلبة السكيثيين المؤذية على كافة أشكالها. كان ميثريداتس السادس ملكَ مملكة بونتوس التي تطل على النصف الشرقي

=Σκυθικὸν ἔθνος· καὶ ἐκαλεῖτο ἡ χώρα πᾶσα αὕτη ‹σχεδὸν δέ τι καὶ ἡ ἔξω τοῦ ἰσθμοῦ μέχρι Βορυσθένους ‹μικρὰ Σκυθία·

XII. 2. 3:

.... τὰ δὲ ἱερὰ ταῦτα δοκεῖ Ὀρέστης μετὰ τῆς ἀδελφῆς Ἰφιγενείας κομίσαι δεῦρο ἀπὸ τῆς Ταυρικῆς Σκυθίας ‹τὰ τῆς Ταυροπόλου Ἀρτέμιδος›

(1) Strabo VII. 4. 4.

(2) Ivantchik (2019), pp. 226.

للشاطئ الجنوبي للبحر الأسود ابتداء من نهر هالوس/ هاليس (كان النهر هو الحد بين آسيا الصغرى وباقي آسيا)، وتمتد إلى مسافاتٍ متفاوتة داخل آسيا الصغرى، وقد كان ذلك الملك شديد الطموح، وعندما واتته الفرصة لوضع قدمه في منطقة شمال البحر الأسود مما يمكن أن يسمح بمد نفوذ رقعة مملكته دون المجازفة بالاصطدام مع الرومان –الذين أوغروا صدره عام ١١٦ق.م بضم إقليم فريجيا الكبرى– لم يتردد في انتهاز تلك الفرصة وهبَّ إلى نجدة مملكة البوسفور في البحر الأسود، وتابع من هناك فتوحاته حولها شمالًا وشرقًا(١). فكما يذكر أبيان(٢): "ذهب ميثريداتس، بعد عودته إلى بونتوس في حرب مع (مملكة) كولخيس (شرق البحر الأسود) والقبائل حول مضيق البوسفور الذين ثاروا منه" إذ لم تلبث قوات غوث مملكة البوسفور الميثريداتية ضد السكيثيين أن مدت سيطرة ميثريداتس على منطقة الشاطئ الشمالي للبحر الأسود، وأقامت ابنه نائبًا للملك هناك. ويروي أبيان أن ثوار كولخيس هم من طلبوا ابن ميثريداتس حاكمًا لهم، وعندما عينه ميثريداتس هدأوا وعادوا إلى الفور إلى ولائهم. وهو ما جعل ميثريداتس يشتبه في تورط ابنه في اشتعال تلك الثورات من أجل طموحه في الملَكية. ولذلك أودى ميثريداتس بحياة ابنه على الرغم من خدمته المشرفة معه في المعارك في آسيا الصغرى. وهكذا سيطر ميثريداتس على السكيثيين ومملكة اليونان قبل نهاية القرن الثاني ق.م(٣).

---

(١) إبراهيم نصحي (١٩٧٣)، تاريخ الرومان: ١٣٣ – ٤٤ق.م، ج٢، ليبيا: منشورات الجامعة الليبي، ص ٢٩٣ – ٢٩٥.

(2) Appian Mith. XII. 64:

.... Μιθριδάτης δ 'ές τὸν Πόντον ἐσπλεύσας Κόλχοις καὶ Βοσποριανοῖς ἀφισταμένοις ἐπολέμει .ὧν Κόλχοι τὸν υἱὸν παρ 'αὐτοῦ ،Μιθριδάτην ، βασιλέα σφίσιν ᾑτοῦντο δοθῆναι καὶ λαβόντες αὐτίκα ὑπήκουσαν . ὑποπτεύσας δ 'ὸ βασιλεὺς τόδε πρὸς τοῦ παιδὸς αὐτοῦ βασιλείας ἐπιθυμοῦντος γενέσθαι ،καλέσας αὐτὸν ἔδησεν ἐν πέδαις χρυσαῖς καὶ μετ 'οὐ πολὺ ἀπέκτεινε ،πολλὰ χρήσιμόν οἱ περὶ τὴν Ἀσίαν ἐν τοῖς πρὸς Φιμβρίαν ἀγῶσι γενόμενον .

(٣) لمزيد من المعلومات عن مدن البوسفور اليونانية خلال حكم ميثريداتس. أُنظر:

Molev e. A. (2009), "Bosporos under the rule of Mithridates VI Eupator", in: Mithridates VI and the Pontic kingdom", pp. 321 – 328.

خاتمة:

عسى هذا العرض يكون قد سلط بعضًا من الضوء على تحوَّل شكل اجتياح أهماج الشمال الأوراسيين الرِعاع لإغريق البوسفور في منطقة السواحل الشمالية للبحر الأسود بدايةً من فترة المساكنة في المكان (القرن السابع والنصف الأول من القرن السادس ق.م)، ثم فترة الاعتداء/ الغارات السكيثية (النصف الثاني من القرن السادس إلى أوائل القرن الخامس ق.م)، ثم فترة تكتُّل إغريق البوسفور والتسخير والانتفاع السكيثي الودي (الربع الأول من القرن الخامس ق.م إلى أواخر القرن الرابع ق.م)، ثم فترة سلطة الوصاية السكيثية على عالم إغريق البوسفور (القرنين الثالث والثاني ق.م). ومن خلال ذلك يمكن الخروج بالملاحظات التالية:

- ائتلاف الإغريق على اختلاف أصولهم (مدنهم الأم) لأول مرة في تاريخهم بعيدًا عن تفرقة المنازعات والأحقاد في مملكة واحدة في البوسفور تحت زعامة ملك واحد وعاصمة واحدة، وذلك لمواجهة هجمات السكيثيين الهمجية على أراضيهم. وقد ساعد ذلك الاندماج اليوناني على نشر طاقة حماية جماعية حققت سلمية الاستثمار السكيثي في معيشتهم لفترة وصلت لحوالي قرنين من الزمان.
- تأثر أهل البادية السكيثيين بحياة الاستقرار في مملكة اليونان؛ فاحتكاك البدو المباشر بسكان المناطق الريفية والتجارية على ساحل البحر الأسود جعلهم يشعرون بمدى تفوق المستقرين عليهم في مستويات المعيشة، فأصبحوا يميلون إلى الاستقرار هربًا من شظف العيش في قلب الصحراء. وكان السكيثيون قد أقاموا محطات تجارية مثل: إليزاڤيتوڤكا في النصف الثاني من القرن الرابع ق.م وبالتالي أخذوا في تقليص عدد المواشي التي يربونها وفي إنشاء مخازن الحبوب، وفي الإقامة بالقرب من المخازن لحمايتها، وإذا تمكنوا من زراعة مساحات صغيرة حول هذه المخازن، فإن ذلك يشجعهم على الاستقرار في حياة شبه زراعية. وهذا ما حدث بالنسبة إلى بدو شمال البحر الأسود: السكيثيون إذ أقاموا تجمعات مبعثرة

وتأخذ شكل القرى الصغيرة، وكان سكان هذه التجمعات من أشباه البدو قد بدأوا يتلقون الضربات من بدو السارماتيين الذين كانوا يهاجمون مناطقهم في القرن الثالث ق.م ونتج عن ذلك هجرة السكيثيين واستقرارهم (سكيثيا الصغرى) في قلب مناطق مملكة الإغريق في شبه جزيرة القرم.

- وقف بدو السكيثيين حائلًا أمام قوة الفرس ثم المقدونيين في المنطقة، فلم يتمكن داريوس الأول في القرن السادس ق.م وبعده الإسكندر الأكبر في القرن الرابع ق.م من اختراق/ اقتحام عالم السكيثيين ومجالهم الحيوي اليوناني في السواحل الشمالية للبحر الأسود في الوقت الذي لم يخلُ فيه محيطهم من سيادة الإمبراطورية الفارسية ثم إمبراطورية الإسكندر المقدوني.

قائمة المصادر والمراجع

المصادر:

- Aeschines, Against Ctesiphon, ed. By Rufus B. Richardson, Boston, U.S.A., and London: 1889.
- Ammianus Marcellinus, LCL, III, eng. trans.: John C. Rolfe, Harverd university press, 1986. 3vols.
- Appian, Roman History, LCL, I, eng. trans.: H. White, M.A., LL.D, London: William Heinemann Ltd. 1972. 4vols.
- Ctesias, History of Persia, trans. by: Lloyd L. Jones and Robson, London and New York: Routledge: 2010.
- Diodorus Sicilus, Bibliotheca Historica, LCL, II, IV, X, eng. trans. by C. H. Oldfather, Russel M. Geer, Ph.D., London: 1953, 1956, 1954, 12 vols.
- Herodtus, The Persian War, LCL, I, II, eng. trans. by A. D. Godly, London: 1920, 1921, 4vols.
- Josephus, The life and Against Apion, LCL, I, eng. trans. by H. St. Thackeray, M.A., London: 1926, 8vols.
- _____, Jewish Antiquities, LCL, I, eng. trans. by H. St. Thackeray, M.A., London: 1930, 9vols.
- Justinus M.J., Epitome of the Philippic history of Pompeius Trogus, LCL, eng. trans. by Rev. John Selby Waston, London: 1853.
- Pliny, Natural Histoy, LCL, I, eng. trans. by H. Rackham, M. A., London: 1850, 10 vols.
- Polyaenus, Stratagems of wars, VII, Chicago, 1992.
- Strabo, The Geography of Strabo, LCL, III, V, eng. trans. by Horace L. Jones, London: 1954, 1961, 8vols.
- Xenephone, Anabasis, LCL, eng. trans. by W. R. Harper, Ph. D., D. D., and J. Wallace, London: 1921.

المراجع الأجنبية:

- Cernenko E. V. (1983), The Scythians 700-300B.C: Men at war series, London: Osprey Publishing Ltd.
- Christina G. (2015), Greeks and Locals in the Bosporan Kingdom: Cultural interactions, Supervisor: M. Manoledakis, International Hellenic University.
- Hind J. (1994), 9f: "The Bosporan kingdom in: Regional Surveys II: The west and north", in: Cambridge ancient history, pp.467-511.
- Ivantchikl A. I. (2019), "The Scythians kingdom in the Crimea in the 2nd Century BC and its relathions with the Greeks states in the north Pontic region", Ancient Civilizations from Scythia to Siberia 25, pp. 220 – 254.
- Khazanov A. K. (2014), Nomads as agents of cultural change: 3. The Scythians and their Neighbors , pp.32-49, University of Hawaii Press.
- Marčenko K. & Vinogradov Y. (1989), "The Scythians period in the northern Black sea region (750-250 B.C)", Antiquity 63, pp. 803-813.
- Melyukova A. I. and Julia C. (1990), "The Scythians and Sarmatians", in: The Cambridge history of early Inner Asia, pp. 97-117.
- Rolle R. (1989), The World of the Scythians, University of Callifornia Press.
- Vinogradoul J. A. (2008), "Rhythms of Eurasia and the main historical stages of the Kimmerian Bosporos in Pre-Roman times", in: Meeting of cultures in the Black sea region, pp.13-27, edip. G. Bilde and J. H. Petersen, Aarhus University Press.

المراجع العربية:

- إبراهيم نصحي (١٩٧٣)، تاريخ الرومان: ١٣٣ – ٤٤ق.م، ج٢، ليبيا: منشورات الجامعة الليبية.